دراسات الذاكرة والذكاء الاصطناعي: تحليل نقدي للتحولات التكنولوجية وتأثيرها على الذاكرة الثقافية

د. نهال أحمد يوسف

ملخص

تتناول هذه الورقة البحثية الآثار متعددة الأوجه للتقدم المتسارع في مجال الذكاء الاصطناعي، مع التركيز على تأثيراته في سوق العمل، والذاكرة الثقافية، ومستقبل الفرد العادي من خلال تحليل أمثلة معاصرة لاستبدال الوظائف بالذكاء الاصطناعي في مختلف القطاعات والمناطق الجغرافية. تحدد الورقة الاتجاه المتزايد نحو التشغيل الآلي وتداعياته. والانتقال إلى ما وراء التداعيات الاقتصادية المباشرة، وتقدم تحليلًا نقديًا للتأثير المحتمل لهذا التحول التكنولوجي على الذاكرة الجماعية، معتمدةً على الأعمال الأساسية والحديثة في دراسات الذاكرة. وتناقش الاعتماد المتزايد على الذكاء الاصطناعي في معالجة وتخزين المعلومات، وما يمكن أن يعيد تشكيل العمليات التي من خلالها تبني المجتمعات تاريخها المشترك وهوياتها الثقافية وتحافظ عليها وتنقلها، مما يستدعي إعادة تقييم دور الإنسان في هذه العمليات. علاوةً على ذلك، تستكشف الورقة كيف يمكن للعلاقة المتطورة بين الإنسان والذكاء الاصطناعي أن تؤثر على التجارب الفردية للذاكرة، وتكوين الهوية، والتماسك الاجتماعي، وتطرح تساؤلات حول جوهر الإنسانية في ظل هذه التحولات.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، سوق العمل، التشغيل الآلي، الذاكرة الثقافية، الذاكرة الجماعية، الهوية الاجتماعية، مستقبل الفرد.

Abstract

This research paper explores the multifaceted impacts of the accelerating advancement in artificial intelligence, focusing on its effects on the labour market, cultural memory, and the future of the average individual. Through an in-depth analysis of contemporary examples of AI-driven job displacement across diverse sectors and geographical locations, the paper establishes the growing trend towards automation and its broad implications. Moving beyond the immediate economic repercussions, the paper offers a critical analysis of the potential influence of this technological transformation on collective memory, drawing upon foundational and contemporary works in memory studies. It argues that the increasing reliance on AI for information processing and storage may reshape the complex processes through which societies construct, preserve, and transmit their shared history and cultural identities, necessitating a reassessment of the human role in these processes. Furthermore, the paper delves into how the evolving relationship between humans and AI may affect individual experiences of memory, identity formation, and social cohesion, raising questions about the essence of humanity in the face of these transformations.

Keywords: AI, labour market, automation, cultural memory, collective memory, social identity, future of the individual.

مقدمة

يشهد عالمنا المعاصر تحولًا جذريًا وعميقًا تقوده التطورات المتسارعة والمذهلة في مجال الذكاء الاصطناعي. هذه الموجة التكنولوجية ليست مجرد تقدم كمي أو تطور تدريجي في الأدوات والآلات، بل هي أيضا قوة نوعية تعيد تشكيل ملامح سوق العمل بطرق غير مسبوقة، وتتجاوز حدود التصورات التقليدية حول طبيعة الوظائف ومهارات المستقبل. وقد بدأت تتراكم الأدلة التجريبية-بسرعة عبر مختلف الصناعات والمناطق الجغرافية- لتؤكد هذا الاتجاه المتسارع لعملية التشغيل الآلي وتداعياته التي بدأت بالفعل في التأثير على حياة ملايين الأفراد حول العالم.

ففي قلب المشهد الإعلامي، اتخذت شركة MSN التابعة لمايكروسوفت في الولايات المتحدة خطوة جريئة في عام 2020 باستبدالها بالعشرات من الصحفيين ذوي الخبرة، خوارزميات الذكاء الاصطناعي المتطورة القادرة على إنتاج المحتوى الإخباري بشكل آلي (Waterson, 2020). وفي قطاع التجارة الإلكترونية الحيوي، أعلنت شركة Dukaan الهندية الناشئة عن استبدالها بنسبة مذهلة بلغت 90% من موظفي خدمة العملاء لديها روبوت دردشة داخلي الصنع في يوليو 2023 مما أثار جدلًا واسعًا حول مستقبل خدمة العملاء البشرية

(Cooban, 2023). وحتى في قلب القطاع التكنولوجي نفسه، أعلنت شركة IBM العملاقة في مايو 2024 عن نيتها الاستراتيجية لاستبدالها بما يقرب من 30% من وظائفها الخلفية التي تتطلب مهارات تقليدية الذكاء الاصطناعي على مدى السنوات الخمس القادمة، مما قد يؤثر بشكل مباشر على حوالي 7800 وظيفة (Forlini, 2023)، وهو ما يعكس ثقة متزايدة في قدرات الذكاء الاصطناعي على أداء مهام كانت حكرًا على العنصر البشري.

ولا يقتصر هذا الاتجاه المتصاعد نحو اتخاذ الذكاء الاصطناعي بديلا للأشخاص على قطاعات أو دول محددة، بل يمتد ليشمل مجموعة واسعة من الصناعات والمناطق الجغرافية، مما يشير إلى تحول عالمي واسع النطاق. فقد أعلنت شركة IKEA السويدية الرائدة في مجال الأثاث عن تصفية تدريجية لعمليات مراكز الاتصال التقليدية لصالح روبوت الدردشة Billie المدعوم بالذكاء الاصطناعي للتعامل مع استفسارات العملاء بكفاءة عالية (PYMNTS, 2023). وفي مجال التسويق الديناميكي، أنهت وكالة BlueFocus الصينية عقودها مع كتاب ومصممي المحتوى البشريين بعد حصولها على

ترخيص خدمة Azure OpenAI المتقدمة من مايكروسوفت (Wang, 2024)، مما يسلط الضوء على قدرة الذكاء الاصطناعي على إنتاج محتوى إبداعي تنافسي. وقامت منصة تعلم اللغات الشهيرة Duolingo في الولايات المتحدة بتسريح 10% من قوتها العاملة من المتعاقدين في يناير 2024، مشيرة صراحة إلى الاستخدام المتزايد للذكاء الاصطناعي في ترجمة المحتوى كجزء أساسي من استراتيجيتها «الذكاء الاصطناعي أولًا» (Merritt & Morning Brew, 2025) . وحتى قطاع الخدمات المالية الحساس لم يسلم من هذا التحول، حيث أعلنت شركة Klarna السويدية المتخصصة في الدفعات الرقمية أن تقنيتها المبتكرة القائمة على الذكاء الاصطناعي يمكنها أداء عمل 700 وكيل خدمة عملاء بشري بكفاءة وفعالية (Clark, 2024)، بينما تهدف شركة الاتصالات العملاقة BT في المملكة المتحدة إلى خفض قوتها العاملة بشكل كبير بحوالي 55000 وظيفة بحلول نهاية العقد الحالي، مع توقع استبدال بحوالي 10000 من هذه الأدوار تقنيات الذكاء الاصطناعي المتقدمة (Espiner, 2023). هذه الأمثلة الملموسة التي تشمل صناعات ودولًا متنوعة، تجسد زخمًا عالميًا متزايدًا نحو دمج الذكاء الاصطناعي بعمق في مختلف العمليات التشغيلية، مما يثير تساؤلات جوهرية وعميقة حول مستقبل العمل، ودور الإنسان فيه، ومصير ملايين الأفراد العاديين في ظل هذه التحولات الجذرية.

ومع ذلك، فإن التأثير العميق لهذا التحول التكنولوجي لا يقتصر على المجال الاقتصادي الضيق، بل يمتد ليشمل جوانب أعمق وأكثر جوهرية في حياتنا الاجتماعية والثقافية، حيث تلعب الذاكرة دورًا محوريًا وأساسيًا في تشكيل هويتنا الفردية والجماعية. فمن منظور سوسيولوجي، لا يمكن فهم الحياة الاجتماعية المعقدة بمعزل عن الذاكرة الجماعية التي تعمل بمثابة نسيج حيوي يربط الأفراد ببعضهم البعض، ويؤسس للهويات والقيم والمعايير الاجتماعية المشتركة التي تحدد طبيعة التفاعلات والعلاقات داخل المجتمع. وكما يؤكد العمل الرائد لعالم الاجتماع الفرنسي موريس هالبواكس (Halbwachs, 1992) في دراساته الكلاسيكية، فإن الذاكرة الجماعية توفر الإطار المعرفي والاجتماعي الذي نفهم من خلاله الماضي المعقد، ونبني عليه حاضرنا المتحول، ونتصور مستقبلنا المجهول. إنها ليست مجرد تجميع بسيط لذكريات فردية متفرقة، بل هي نتاج تفاعلات اجتماعية مستمرة وديناميكية، يتم من خلالها تداول الأحداث والخبرات المهمة وتشكيلها وتفسيرها ونقلها بعناية عبر الأجيال المتعاقبة، لتصبح جزءًا لا يتجزأ من الوعي الجمعي للمجتمع.

والجدير بالذكر أن هذا المفهوم يتجاوز حدود علم الاجتماع، حيث يتقاطع مع رؤى من علم النفس المعرفي، الذي يدرس العمليات الذهنية التي تكمن وراء التذكر. فقد أظهرت أبحاث بارتليت (Bartlett, 1932) أن الذاكرة ليست مجرد استرجاع سلبي للأحداث الماضية، بل هي عملية بنائية نشطة يتم فيها تشويه الذكريات وتعديلها وتشكيلها من خلال المعتقدات والتوقعات والمعرفة الموجودة لدى الفرد. وهذا يؤكد الطبيعة الديناميكية للذاكرة، سواء على المستوى الفردي أم الجماعي.

مراجعة أدبية: تطور دراسات الذاكرة وتداخلها مع التكنولوجيا

شهد الحقل الأكاديمي لدراسات الذاكرة تحولًا جذريًا وعميقًا على مدار العقود الماضية، حيث تجاوز التركيز الأولي الضيق على العمليات النفسية الفردية ليحتضن أبعادًا اجتماعية وثقافية وسياسية أكثر شمولية وتعقيدًا. استهلت الدراسات المبكرة في هذا المجال التي كانت متجذرة بعمق في علم النفس المعرفي، استكشافها للآليات الأساسية التي يقوم عليها ترميز التجارب الفردية وتخزينها واسترجاعها. وتبرز -في هذا السياق- الأعمال الرائدة لإبنغهاوس (Ebbinghaus, 1885) حول منحنى النسيان، والتي قدمت رؤى مبكرة حول طبيعة اضمحلال الذاكرة مع مرور الوقت. كما لا يمكن إغفال مساهمات بارتليت (Bartlett, 1932) التي سلطت الضوء على الطبيعة البنائية النشطة للذاكرة، مؤكدة كيف يقوم الأفراد بتشكيل وتعديل ذكرياتهم بناءً على الأطر المعرفية والثقافية القائمة لديهم. لقد وضعت هذه الأعمال التأسيسية حجر الزاوية لفهم الذاكرة الفردية بوصفها عملية ديناميكية وقابلة للتأثر والتغيير.

بالتوازي مع هذه التطورات، كان لعمل فرويد (Freud, 1923) تأثير عميق على فهم الذاكرة، وإن كان من منظور مختلف. على الرغم من أن تركيز فرويد انصب بشكل أساسي على الذاكرة الفردية واللاوعي. إن نظريته حول الكبت وآليات الدفاع قدمت رؤى قيمة حول كيف يمكن للتجارب المؤلمة أو غير المقبولة أن تُنسى أو تُشوه في الذاكرة. لقد أشار عمله، وخاصة نظريته حول المراحل النفسية الجنسية وتأثير التجارب المبكرة على التطور اللاحق، إلى الطبيعة الانتقائية للذاكرة وكيف يمكن للعوامل العاطفية واللاشعورية أن تؤثر بشكل كبير على ما نتذكره وكيف نتذكره. وعلى سبيل المثال، مفهوم «الكبت» الذي طرحه فرويد، ويشير إلى الآلية النفسية التي يتم بموجبها إبعاد الأفكار أو الذكريات المؤلمة عن الوعي، ويسلط الضوء على كيف يمكن للدوافع اللاواعية أن تشكل محتوى الذاكرة واسترجاعها. وعلى

الرغم من أن فرويد لم يركز بشكل مباشر على الذاكرة الجماعية، فإن مفاهيمه حول الصدمة الفردية وقمع الذكريات كان لها صدى لاحق في دراسات الذاكرة الجماعية والصدمات التاريخية، حيث تم استكشاف كيف يمكن للصدمات الجماعية أن تؤدي إلى أشكال من «الكبت الجماعي» أو «الإنكار الجماعي» للأحداث المؤلمة.

وطرأ تحول محوري في فهم الذاكرة مع بروز المنظورات الاجتماعية، والتي تجسدت بشكل خاص في المفهوم الرائد للذاكرة الجماعية الذي قدمه موريس هالبواكس .(Halbwachs, 1992) لقد جادل هالبواكس في أن الذاكرة ليست مجرد ملكة فردية منعزلة، بل هي متأصلة بعمق في النسيج الاجتماعي والثقافي الذي يحيط بالفرد. وأكد بشكل خاص الدور المحوري للجماعات الاجتماعية في صياغة الذكريات المشتركة والحفاظ عليها ونقلها. وسلط الضوء-من خلال هذا المنظور-على كيف أن التجارب المشتركة والتفاعلات الاجتماعية المعقدة توفر الأساس الهيكلي لبناء الذكريات الفردية واسترجاعها وتفسيرها. لقد أكد هذا المنظور الاجتماعي الطبيعة البنائية للماضي وأهميته الحاسمة في تشكيل هوية الجماعة وتدعيم تماسكها الاجتماعي.

ويضيف عمل أليسون لاندسبيرج (Landsberg, 2004) بعدًا جديدًا إلى فهمنا للذاكرة، خاصة في علاقته بالوسائط الجماهيرية. تقدم لاندسبيرج مفهوم «الذاكرة الاصطناعية» (Prosthetic Memory) الذي يشير إلى الذكريات التي لا تنبع من تجربة شخصية مباشرة، ويتم زرعها من خلال وسائل الإعلام مثل السينما. وتجادل لاندسبيرج في أن هذه الذكريات الاصطناعية يمكن أن تؤثر بقوة على هوية الفرد، تمامًا مثل الذكريات الحقيقية. وتوضح لاندسبيرج ذلك من خلال تحليل أفلام مثل Total Recall و Blade Runner، حيث يواجه الأفراد تحديات في التمييز بين الذكريات الحقيقية والمزروعة. يؤكد هذا المنظور على الدور المتزايد الذي تلعبه وسائل الإعلام في تشكيل تجاربنا وذكرياتنا، مما يطرح أسئلة مهمة حول أصالة الذاكرة وعلاقتها بالهوية في العصر الحديث.

ومع ذلك، فإن مفهوم لاندسبيرج للذاكرة الاصطناعية ليس بمنأى عن النقاش. فيرى جيمس بيرغر (Berger, 2007) أن ما تصفه لاندسبيرج بأنه ذاكرة قد يكون في الواقع مزيجًا من المعرفة والتعاطف، وأن «الذاكرة الاصطناعية» تنطبق في الواقع على استخدام الإنسان للرموز بشكل عام، وليس فقط على أشكال معينة من الوسائط الجماهيرية. وينتقد بيرغر ميل لاندسبيرج إلى تبني موقف متفائل

للغاية بشأن الإمكانات التقدمية لوسائل الإعلام والذاكرة الاصطناعية، محذرًا من أن هذه الوسائط يمكن أن تخضع أيضًا لعمليات أيديولوجية وتلاعب.

ويسلط عمل مارغريت-آن هوتون (Hutton, 2021) الضوء على أهمية تحليل الاستعارات المستخدمة في دراسات الذاكرة، بما في ذلك مفهوم «الذاكرة الاصطناعية» نفسه. تناقش هوتون أن الاستعارات تشكل فهمنا للذاكرة وكيف أن اختيار لاندسبيرج لمصطلح «الذاكرة الاصطناعية» نفسه يحمل آثارًا معينة، لا سيما فيما يتعلق بمفاهيم الإعاقة والجسد. تحث هوتون على اتباع نهج نقدي أكثر وعيًا باللغة المجازية في هذا المجال.

واعتمادًا على عمل هالبواكس التأسيسي، قام علماء لاحقون بتوسيع نطاق دراسات الذاكرة ليشمل الأبعاد الثقافية والسياسية الأكثر تعقيدًا. ويبرز عمل بيير نورا (Nora, 1989) المؤثر حول مفهوم «مواقع الذاكرة» (lieux de mémoire)، وهي الأماكن والأشياء والرموز المادية وغير المادية التي تستثمرها المجتمعات بمعانٍ جماعية عميقة وتستخدمها بصفتها نقاط ارتكاز أساسية لماضيها المشترك. لقد سلط هذا العمل الضوء على الدور النشط والمعقد للثقافة في حفظ الماضي وتمثيله بطرق متنوعة، وكيف تصبح هذه «المواقع» ساحات للصراع على تفسير الماضي وتشكيل الهوية الجماعية.

وفي سياق مختلف، استكشفت دراسات أخرى فكرة «الأطراف الاصطناعية للذاكرة» من منظور تكنولوجي. على سبيل المثال، اقترح لامينغ وآخرون (Lamming et al., 1994) تطوير «أجهزة ذاكرة اصطناعية» لمساعدة الأفراد في مجموعة من مهام الذاكرة اليومية، مثل تذكر مكان وجود المستندات أو تذكر أسماء الأشخاص. تصور لامينغ وزملاؤه هذه الأجهزة على أنها أجهزة حوسبة شخصية حساسة للسياق تسجل المعلومات تلقائيًا عن أنشطة المستخدم، ويمكن استرجاعها لاحقًا حسب الحاجة. وعلى الرغم من أن هذا العمل يركز على التطبيقات العملية للتكنولوجيا لتعزيز الذاكرة الفردية، فإنه يتقاطع مع المناقشات النظرية حول الذاكرة الاصطناعية من خلال تسليط الضوء على إمكانات الأدوات التكنولوجية لتوسيع أو استبدال وظائف الذاكرة البشرية.

شهد الربع الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين تنوعًا إضافيًا في دراسات الذاكرة، حيث تم دمج مناهج متعددة التخصصات من التاريخ والأنثروبولوجيا والأدب ودراسات الإعلام والدراسات الرقمية. وبدأ الباحثون في استكشاف سياسات الذاكرة المعقدة، مع التركيز على كيفية بناء

الروايات المهيمنة وتحديها، وكيف تناضل الجماعات المهمشة من أجل الاعتراف بتاريخها وذاكرتها الجماعية

(Connerton, 1989; Winter & Sivan, 2006) . كما أثر صعود دراسات الصدمات بشكل كبير على هذا المجال، فقد استكشف الطرق التي يتم بها تذكر الصدمات الجماعية وتمثيلها وتأثيرها الدائم على الحياة الاجتماعية والثقافية .(Caruth, 1996; LaCapra, 2001) وقد أكدت هذه الدراسات أهمية فهم كيف تشكل الأحداث الصادمة الذاكرة الجماعية وكيف يمكن أن تنتقل عبر الأجيال، وهو ما يتقاطع جزئيًا مع مفاهيم فرويد حول تأثير التجارب المبكرة والصدمات على النفس الفردية والجماعية.

وفي الآونة الأخيرة، انخرطت دراسات الذاكرة بشكل متزايد في تناول التأثير العميق للتقنيات الرقمية الجديدة على ممارسات الذاكرة الفردية والجماعية. لقد أثار ظهور التقنيات الرقمية والإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي أسئلة حاسمة حول الطبيعة المتغيرة لتخزين الذاكرة والوصول إليها ونشرها على نطاق واسع

و .(Hoskins, 2011; Van Dijk, 2007)وبرز مفهوم «الذاكرة الرقمية» -الذي يستكشف كيف تشكل المنصات عبر الإنترنت والمحفوظات الرقمية- التذكر الفردي والجماعي بطرق جديدة وغير مسبوقة، مع التركيز بشكل خاص على دور الخوارزميات والذكاء الاصطناعي في تنظيم هذه الذاكرة الرقمية وتفسيرها. وقد أكد هوسكينز (Hoskins, 2011) أن التقنيات الرقمية غيرت جوهريًا طبيعة الذاكرة، وحولتها إلى ذاكرة «متصلة» و «موزعة»، تتجاوز الحدود الجغرافية والزمنية التقليدية.

ويستكشف كل من Ciocea و (2015) Cârlan كيف يمكن لمفاهيم مثل «الذاكرة الاصطناعية» و«ذاكرة ما بعد الصدمة» أن تساعد في تشكيل تصميم المتاحف التجريبية، خاصة تلك التي تتعامل مع الأحداث التاريخية المؤلمة. ويجادل المؤلفان في أن المتاحف يمكن اعتبارها «أجهزة ذاكرة» لديها القدرة على إثارة استجابات عاطفية قوية لدى الزوار وتسهيل التأمل في الماضي.

وبناء على ما قدمته هذه المراجعة الأدبية التاريخية، فإن دراسات الذاكرة مجال متعدد الأوجه ومتطور باستمرار؛ بدءًا من التحقيقات النفسية المبكرة في الذاكرة الفردية إلى الاستكشافات المعاصرة للذاكرة الجماعية والتكنولوجيا الرقمية. فقد سعى العلماء إلى فهم تعقيدات كيفية تذكرنا للماضي وتأثير ذلك على هويتنا الفردية والاجتماعية.

الذكاء الاصطناعي ومستقبل الذاكرة: منظور أكاديمي جديد

يحظى موضوع العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والذاكرة باهتمام متزايد، فقد أثار نقاشات واسعة في مختلف المجالات الأكاديمية وطرح أسئلة جوهرية حول طبيعة الذاكرة، وتعزيزها التكنولوجي، وتداعياتها الأوسع على المجتمع. فمن خلال نسيجها الغني والمتنوع من الأطر النظرية والتحقيقات التجريبية، تقدم دراسات الذاكرة عدسة بالغة الأهمية والعمق لتحليل التداعيات المحتملة لانتشار الذكاء الاصطناعي على نطاق واسع وتأثيره على الذاكرة الثقافية والتذكر الفردي والجماعي. وتمثل الموجة الحالية من الاضطراب التكنولوجي العميق-التي تتميز بالقدرة المتزايدة لأنظمة الذكاء الاصطناعي على معالجة وتخزين كميات هائلة من المعلومات واسترجاعها بسرعة وكفاءة غير مسبوقة-مجموعة جديدة من التحديات لكيفية تعامل المجتمعات والأفراد مع الماضي وتراثهم الثقافي.

وبالاستناد إلى الرؤى الراسخة والحديثة في دراسات الذاكرة، يمكننا طرح منظور أكاديمي جديد ومتعمق يأخذ في الاعتبار احتمالية حدوث تحول جذري في بيئة الذاكرة الإنسانية. تقليديًا، تم بناء الذاكرة الجماعية والحفاظ عليها من خلال عمليات معقدة من النقل بين الأجيال، والطقوس الاجتماعية المتكررة، والممارسات الثقافية المتنوعة، والمشاركة النشطة للعوامل البشرية في تفسير الماضي وسرده وتشكيله

(Halbwachs, 1992; Connerton, 1989). فإن الاعتماد المتزايد على أنظمة الذكاء الاصطناعي بوصفها مستودعات ضخمة للمعلومات وأدوات متطورة للتحليل التاريخي يقدم فاعلًا جديدًا وقويًا في هذه الديناميكية المعقدة.

ويرى جينسبورجر وكلافيرت (2024)، أن الذكاء الاصطناعي ليس مجرد أداة سلبية، بل هو قوة تحويلية بدأت تعيد تعريف العمليات التي نبني بها ماضينا الجماعي ونحافظ عليه ونتفاعل معه. ويُعتبر ظهور الذكاء الاصطناعي التوليدي، والمثال عليه ChatGPT الذي تم إصداره في عام 2022، بمثابة لحظة محورية، تبشر بحدوث تحول كبير نحو نموذج بنيوي جديد للذاكرة الجماعية. وقد أثار هذا التقدم التكنولوجي خيال الجمهور، وأشعل أيضًا حوارًا حاسمًا بين المتخصصين في دراسات الذاكرة وخبراء الذكاء الاصطناعي، مسلطًا الضوء بشكل فعال على كل من الفوائد المحتملة والقيود المتأصلة للذكاء الاصطناعي في مجال ممارسات الذاكرة.

وتكمن أحد الجوانب الرئيسية لهذا التحول في قدرة الذكاء الاصطناعي غير المسبوقة على معالجة كميات هائلة من البيانات وتجميعها، وهي القدرة التي أتاحت إنشاء ما يمكن تسميته «الذكريات الاصطناعية». ومع ذلك، فإن هذه البنى الاصطناعية التي أنشئت بالذكاء الاصطناعي تثير أسئلة عميقة حول الطبيعة الأنطولوجية (ontology) للتجربة، خاصة في سياق الأحداث الصادمة. وعلى سبيل المثال، استخدام الذكاء الاصطناعي لإنتاج نصب تذكارية وتمثيلات ثلاثية الأبعاد تفاعلية للناجين من الهولوكوست

(BBC News, 2023). مما يوفر طرقًا جديدة وقوية للانخراط في التاريخ. ومع ذلك، فإن هذه التطبيقات لا تخلو من تعقيداتها الأخلاقية، مما يثير تساؤلات جدية حول أصالة الذاكرة ودقتها وإمكانية تحويلها إلى سلعة. وإذا كان الباحثون يواصلون استكشاف قدرات الذكاء الاصطناعي وتوسيعها، فإنهم يواجهون بشكل متزايد الآثار العميقة والمقلقة في كثير من الأحيان التي تحملها هذه التقنيات على كيفية تذكرنا للماضي وتمثيله (Berger, 2007). إن الطرق التي يتم بها تدريب نماذج الذكاء الاصطناعي، والبيانات التي تستخدمها، والطرائق التي تتفاعل من خلالها مع المستخدمين، تمارس تأثيرًا كبيرًا على الروايات والمعاني، وبالتالي تسليط الضوء على التفاعل المعقد والمتعدد الأوجه بين التكنولوجيا والذاكرة والهوية.

وتثير الكفاءة والنطاق الهائلان اللذان يمكن للذكاء الاصطناعي من خلالهما معالجة البيانات واسترجاعها احتمالية التحول نحو شكل أكثر «استعانة بمصادر خارجية» للذاكرة. فإذا كان هذا يقدم فوائد واضحة مثل إمكانية الوصول السريع للمعلومات والحفظ الشامل، فإنه يحمل أيضًا مخاطر محتملة وعميقة. وقد يؤدي الاعتماد المفرط على التنسيق والتفسير الخوارزمي للماضي إلى تجانس الروايات التاريخية، مما يعني تهميش وجهات النظر والتجارب المعيشة المتنوعة التي لا يمكن قياسها أو تمثيلها بسهولة في مجموعات البيانات الضخمة المستخدمة لتدريب نماذج الذكاء الاصطناعي. ويشير كل من بيير بورديو

(Bourdieu, 1984) وميشيل فوكو (Foucault, 1977) إلى أن المعرفة والقوة مترابطتان بشكل معقد، وأن من يمتلك القدرة على تحديد الروايات التاريخية يمتلك أيضًا القدرة على تشكيل الهوية الجماعية. وفي هذا السياق، فإن تدخل الذكاء الاصطناعي يضيف طبقة جديدة من التعقيد،

فالخوارزميات، التي تطورها شركات التكنولوجيا الكبرى، قد تفرض عن غير قصد رؤية موحدة للتاريخ على حساب التنوع والتعددية.

كما أن الافتقار إلى الصدى العاطفي والتجربة المجسدة المتأصلة في الذاكرة التي يحركها الذكاء الاصطناعي قد يقلل من الارتباط العاطفي والوجداني الذي يشعر به الأفراد والمجتمعات تجاه ماضيهم المشترك، مما قد يضعف الروابط الاجتماعية القوية التي تتشكل من خلال التذكر الجماعي الحي. ويرى عالم الأنثروبولوجيا ديفيد كونرتون (Connerton, 1989) أن الطقوس والأفعال التذكارية تلعب دورًا حاسمًا في نقل الذاكرة الجماعية، لأنها تجسد المعرفة التاريخية في الممارسات الاجتماعية، مما يجعلها أكثر قوة وتأثيرًا من مجرد سرد الحقائق. وبالتالي، فإن استبدال هذه الممارسات الإنسانية الحيوية بتمثيلات آلية قد يؤدي إلى فقدان جزء أساسي من النسيج العاطفي والاجتماعي للذاكرة.

ولا يقتصر التأثير على الذاكرة الجماعية فحسب، بل يمتد أيضًا إلى الذاكرة الفردية. فمع قيام الذكاء الاصطناعي بشكل متزايد بأداء المهام المعرفية المعقدة المتعلقة باستدعاء المعلومات وتنظيمها وتحليلها، هناك احتمال حقيقي لحدوث انخفاض في المشاركة النشطة للقدرات المعرفية البشرية في عملية التذكر نفسها. وقد يكون لذلك آثار بعيدة المدى على تكوين الهوية الفردية، التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالذكريات الشخصية وتكاملها في سرد حياة متماسكة وذات معنى. وقد جادلت عالمة النفس إليزابيث لوفتوس (Loftus, 2003) في أن الذاكرة الفردية قابلة للتغيير بشكل ملحوظ، وأنها تتأثر بعوامل مختلفة مثل المعلومات اللاحقة والتأثيرات الاجتماعية. وفي هذا السياق، فإن الاعتماد المتزايد على الذكاء الاصطناعي بوصفه مصدرًا للمعلومات الشخصية قد يزيد من هذا الضعف، ويجعل الذكريات الفردية أكثر عرضة للتلاعب والتشويه.

ويثير صعود المحتوى الذي أنشئ بالذكاء الاصطناعي والتعقيد المتزايد لتقنيات التزييف العميق أسئلة حاسمة حول الأصالة والموثوقية المتضائلة للذاكرة في العصر الرقمي. إن قدرة الذكاء الاصطناعي على إنشاء روايات تاريخية وتمثيلات بصرية تبدو معقولة ولكنها في الواقع ملفقة وتشكل تحديًا كبيرًا لدقة كل من الذكريات الفردية والجماعية. وقد حذر العديد من الباحثين، مثل شوشانا زوبوف (Zuboff, 2019) من أن التطورات التكنولوجية، بما في ذلك الذكاء الاصطناعي، تؤدي إلى ظهور ما أسمته «رأسمالية المراقبة»، حيث يتم جمع البيانات الشخصية وتحليلها والتلاعب بها لأغراض تجارية

وسياسية. ووقوع التزييف العميق والتلاعب بالذاكرة التي يوفرها الذكاء الاصطناعي يمكن أن يشكلا أدوات قوية لترسيخ السلطة والسيطرة، مما يقوض قدرة الأفراد على تكوين فهم مستقل للماضي والحاضر.

تأثير الذكاء الاصطناعي على الفرد العادي: إعادة تشكيل الهوية والخبرة الثقافية

إن التغلغل المتزايد للذكاء الاصطناعي في مختلف جوانب الحياة يطرح تحديات وفرصًا غير مسبوقة للفرد العادي. فإذا هذه التقنية تحمل القدرة على تعزيز إمكانية الوصول إلى المعلومات وتسهيل بعض المهام اليومية، فإنها تثير أيضًا مخاوف عميقة بشأن تأثيرها على الهوية الثقافية والخبرة الفردية.

وأحد المجالات الرئيسية التي يتجلى فيها هذا التأثير هو مجال العمل. فكما ذكرنا سابقًا، يشهد سوق العمل تحولًا جذريًا بسبب التشغيل الآلي الذي يحركه الذكاء الاصطناعي، حيث تحل الآلات الذكية محل العمال البشريين في مجموعة واسعة من الصناعات. وقد أشار أوتور (Autor, **2015**) إلى أن هذا التحول قد يؤدي إلى استقطاب سوق العمل، حيث تتركز الوظائف ذات الأجور المرتفعة في المهن التي تتطلب مهارات إبداعية وتحليلية معقدة، بينما تتركز الوظائف ذات الأجور المنخفضة في مهام الخدمة الروتينية التي يصعب تشغيلها آليًا. أما الوظائف ذات الأجور المتوسطة، والتي تشكل تقليديًا جزءًا كبيرًا من القوى العاملة، فهي الأكثر عرضة للاستبدال بالآلات.

ويناقش سوسكيند و سوسكيند (Susskind & Susskind, **2015**) في كتابهما «The Future of the Professions» أن الذكاء الاصطناعي سيؤدي إلى «تفكك» العديد من المهن التقليدية، حيث يتم تقسيم المهام المعقدة إلى مكونات أصغر يمكن تشغيلها آليًا بشكل متزايد. وهذا قد يؤدي إلى تآكل الخبرة المهنية والشعور بالهوية المرتبط بالوظائف التقليدية، مما يترك الأفراد العاديين في حالة من عدم اليقين بشأن مستقبلهم المهني ودورهم في المجتمع.

ويتجاوز تأثير الذكاء الاصطناعي سوق العمل ليشمل أيضًا الطرق التي يتفاعل بها الأفراد مع ثقافتهم وتراثهم. فمع تزايد اعتمادنا على المنصات الرقمية والخوارزميات لتنظيم المعلومات الثقافية واستهلاكها، هناك خطر من أن يتم تصفية تجاربنا الثقافية وتجانسها. وقد حذرت الباحثة شيري توركل (Turkle, **2011**) في كتابها «Alone Together» من أن الاعتماد المفرط على التكنولوجيا في

التواصل والتفاعل الاجتماعي يمكن أن يؤدي إلى شعور بالعزلة والوحدة، وإلى تآكل القدرة على التعاطف والتواصل الحقيقي مع الآخرين. وفي سياق الذاكرة الثقافية، فإن الاعتماد على الذكاء الاصطناعي لتلقي المعلومات التاريخية والثقافية قد يقلل من المشاركة النشطة للأفراد في عملية التذكر، ويحولهم إلى مستهلكين سلبيين للمحتوى الذي يتم إنشاؤه بالآلات.

علاوة على ذلك، فإن القدرة المتزايدة للذكاء الاصطناعي على إنشاء محتوى إبداعي، مثل الموسيقى والفن والأدب، تثير أسئلة عميقة حول طبيعة الإبداع الإنساني ودوره في تشكيل الهوية الثقافية. فإذا كانت الآلات قادرة على إنتاج أعمال فنية تحاكي أو حتى تتجاوز في جودتها الأعمال التي ينتجها البشر، فماذا يعني ذلك بالنسبة لقيمة الإبداع الإنساني؟ وهل سيؤدي ذلك إلى تهميش دور الفنانين والمبدعين البشريين في المجتمع؟ وقد يستشهد هنا بعمل ديفيد جيلزبي (Gillespie, **2014**) الذي يدرس كيف تقوم الخوارزميات بتشكيل الثقافة العامة.

مستقبل الفرد العادي: التكيف والمقاومة في عصر الذكاء الاصطناعي

في ظل هذه التحولات العميقة، يواجه الفرد العادي تحديات غير مسبوقة، ولكنه يمتلك أيضًا القدرة على التكيف والمقاومة.

على مستوى سوق العمل، يصبح اكتساب مهارات جديدة أمرًا بالغ الأهمية. فمع تشغيل المهام الروتينية آليًا، تزداد قيمة المهارات التي لا يمكن للآلات تكرارها بسهولة، مثل الإبداع والتفكير النقدي والتواصل المعقد والذكاء العاطفي. وقد أكد دانيال جولمان (Goleman, **2006**) في كتابه «الذكاء العاطفي» على أهمية الذكاء العاطفي في النجاح الشخصي والمهني، مشيرًا إلى أنه يتضمن القدرة على فهم المشاعر وإدارتها، والتعاطف مع الآخرين، وبناء علاقات قوية. وهذه المهارات تكتسب أهمية متزايدة في عالم يعتمد بشكل متزايد على الآلات.

وعلى المستوى الثقافي، يصبح الحفاظ على الروابط الإنسانية والتفاعل المباشر مع التراث الثقافي أمرًا ضروريًا. وينبغي على المؤسسات الثقافية والمجتمعات المحلية أن تلعب دورًا نشطًا في تعزيز هذه الروابط، من خلال تنظيم الفعاليات والأنشطة التي تشجع المشاركة الفعالة والتفاعل المباشر مع الماضي. ويمكن الاستفادة من التقنيات الرقمية لتعزيز هذه الجهود، وعلى سبيل المثال من خلال

إنشاء منصات تفاعلية تتيح للأفراد مشاركة ذكرياتهم وتجاربهم الثقافية، أو من خلال تطوير تطبيقات الواقع المعزز التي تضفي الحيوية على المواقع التاريخية والتراثية.

وتكتسب المنهجيات الأكاديمية والبحثية أهمية متزايدة في الحفاظ على الذاكرة الثقافية في عصر الذكاء الاصطناعي. فمن خلال البحث الدقيق والتحليل النقدي، يمكن للباحثين والمؤسسات الأكاديمية أن يلعبوا دورًا حيويًّا في تقييم المعلومات التي تقدمها أنظمة الذكاء الاصطناعي، والتمييز بين المحتوى الأصيل والمحتوى الذي تم إنشاؤه أو التلاعب به بالآلات. ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

تعزيز الثقافة الرقمية ومهارات التفكير النقدي: تطوير برامج تعليمية متخصصة لتعزيز الوعي النقدي بالدور المتزايد للذكاء الاصطناعي في تشكيل ثقافتنا، وتزويد الأفراد بالأدوات اللازمة لتقييم المعلومات بشكل فعال.

تشجيع البحث الأكاديمي والإعلام المسؤول: دعم الدراسات المتعمقة حول تأثير الذكاء الاصطناعي على المجتمع، وتشجيع الإعلام على تبني نهج مسؤول في تغطية هذه القضايا المعقدة.

تطوير أدوات ومنهجيات بحثية جديدة: استكشاف طرق مبتكرة لتوثيق وحفظ التراث الثقافي في العصر الرقمي، بما في ذلك استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي بطرق أخلاقية ومسؤولة.

بناء شراكات بين الأوساط الأكاديمية والمؤسسات الثقافية: تعزيز التعاون بين الباحثين والمتاحف والأرشيفات والمؤسسات الثقافية الأخرى لضمان الحفاظ على الذاكرة الثقافية وإتاحتها للأجيال القادمة.

بناء على ذلك، فإن مستقبل الفرد العادي في عصر الذكاء الاصطناعي سيعتمد على قدرتنا على التكيف مع التغيرات التكنولوجية الهائلة، مع الحفاظ في الوقت نفسه على جوهر إنسانيتنا وقيمنا الثقافية. ويتطلب ذلك تضافر جهود الحكومات والمؤسسات التعليمية وشركات التكنولوجيا والمجتمع المدني، من أجل خلق مستقبل تسخر فيه إمكانات الذكاء الاصطناعي لخدمة الإنسانية جمعاء، مع الحفاظ على كرامة الفرد وحريته وهويته الثقافية.

الخلاصة

يطرح التقدم المتسارع في مجال الذكاء الاصطناعي تحديات وفرصًا غير مسبوقة. فمن ناحية، يحمل القدرة على إحداث ثورة في مختلف القطاعات وتعزيز رفاهية الإنسان، ومن ناحية أخرى، يثير مخاوف

جوهرية بشأن مستقبل العمل، وإعادة تشكيل الذاكرة الثقافية، ومكانة الفرد العادي في المجتمع. وقد أكدت هذه الورقة على أن هذه التحولات تتطلب تحليلًا دقيقًا ومتعدد التخصصات، يجمع بين رؤى العلوم الإنسانية والاجتماعية والتكنولوجية.

تناولت هذه الورقة التأثيرات المتعددة للذكاء الاصطناعي على ثلاثة محاور رئيسية: أولًا، سوق العمل، حيث ناقشنا الاتجاه المتزايد لتشغيل الوظائف آليًا وتأثيرها على القوى العاملة، بما في ذلك استقطاب الوظائف المحتمل وتآكل المهن التقليدية. ثانيًا، الذاكرة الثقافية، حيث فحصنا كيف يمكن للذكاء الاصطناعي أن يعيد تشكيل طرق تذكرنا للماضي الجماعي والحفاظ عليه، مع التركيز على مفاهيم مثل «الذكريات الاصطناعية» ومخاطر تجانس الروايات التاريخية. وثالثًا، الفرد العادي، حيث استكشفنا التحديات والفرص التي يواجهها في التكيف مع هذه التغيرات التكنولوجية، بما في ذلك الحاجة إلى اكتساب مهارات جديدة والحفاظ على الروابط الإنسانية. وقد قدمت الورقة منظورات جديدة حول التفاعل المعقد بين الذكاء الاصطناعي والذاكرة، مسلطة الضوء على احتمالية التحول نحو شكل أكثر «استعانة بمصادر خارجية» للذاكرة. وحذرت من أن الاعتماد المفرط على التفسير الخوارزمي للماضي يمكن أن يؤدي إلى تهميش وجهات النظر المتنوعة وتقليل الارتباط العاطفي بالماضي المشترك.

وبناءً على ما تقدم، نوصي بأن تركز الأبحاث المستقبلية على عدة مجالات: دراسة الآثار الأخلاقية للذكاء الاصطناعي على الذاكرة، بما في ذلك المعضلات الأخلاقية المتعلقة بإنشاء الذكريات الاصطناعية، والتلاعب بالذاكرة، وتأثير ذلك على الهوية الفردية والجماعية، بما في ذلك التزييف العميق ومخاطر التضليل. استكشاف دور الذكاء الاصطناعي في الحفاظ على التراث الثقافي، وتحديد كيف يمكن استخدامه بشكل فعال ومسؤول لحفظ التراث الثقافي المادي وغير المادي، مع ضمان إمكانية الوصول إليه والمشاركة فيه على نطاق واسع، مع مراعاة الأصالة. بحث تأثير الذكاء الاصطناعي على الهوية الفردية والاجتماعية، وتحديد كيف يمكن أن يؤثر على شعور الأفراد بالذات، وانتماءاتهم الجماعية، وتفاعلاتهم الاجتماعية في العصر الرقمي، بما في ذلك تأثيره على التعاطف والتواصل الإنساني. وصياغة مبادئ توجيهية أخلاقية وسياسات فعالة تعالج التحديات التي يطرحها الذكاء الاصطناعي، وتضمن استخدامه بطريقة تعزز العدالة والمساواة والشمول، مع التركيز على حماية حقوق الأفراد وتعزيز الصالح العام. وتشجيع التعاون بين الباحثين في مختلف المجالات، بما في ذلك علوم الحاسب الآلي،

والعلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، والقانون، والأخلاق، لتوفير فهم شامل لتأثير الذكاء الاصطناعي على المجتمع.

وختامًا، من خلال معالجة هذه المجالات البحثية، يمكننا تسخير إمكانات الذكاء الاصطناعي لخدمة الإنسانية، مع الحفاظ على قيمنا المشتركة، وحماية حقوقنا الأساسية، وضمان مستقبل مستدام وعادل للجميع.

قائمة المراجع

- Autor, D. H. (2015). Why are there still so many jobs? The history and future of workplace automation. Journal of Economic Perspectives, 29(3), 330-.
- Bartlett, F. C. (1932). Remembering: A study in experimental and social psychology. Cambridge University Press.
- BBC News. (2023, December 10). Meta launches interactive Holocaust education tool using AI - BBC News [Video].
- Berger, J. (2007). Prosthetic memory. Theory, Culture & Society, 24(7-8), 175-195.
- Bourdieu, P. (1984). Distinction: A social critique of the judgement of taste. Harvard University Press.
- Caruth, C. (Ed.). (1996). Unclaimed experience: Trauma, narrative, and history. Johns Hopkins University Press.
- Ciocea, I., & Cârlan, E. (n.d.). Artificial and posttraumatic memory in the experimental museum design.
- Clark, K. (2024, February 28). Klarna says its AI can do the work of 700 customer service agents. Bloomberg.
- Connerton, P. (1989). How societies remember. Cambridge University

Press.

- Cooban, A. (2023, August 8). Indian start-up replaces 90% of customer support staff with AI chatbot. CNN Business.
- Ebbinghaus, H. (1885). Memory: A contribution to experimental psychology.
- Espiner, T. (2023, May 18). BT to cut 55,000 jobs by end of decade, AI to replace 10,000 roles. Evening Standard.
- Forlini, D. (2024, May 10). IBM to replace 7,800 jobs with AI. IT News.
- Foucault, M. (1977). Discipline and punish: The birth of the prison. Pantheon Books.
- Gillespie, T. (2014). Custodians of the internet: Platforms, content moderation, and the hidden decisions that shape social media. Yale University Press.
- Goleman, D. (2006). Emotional intelligence. Bantam Books.
- Halbwachs, M. (1992). On collective memory. University of Chicago Press.
- Hoskins, A. (2011). Media, memory, and the digital age. Routledge.
- Hutton, M.-A. (2021). Prosthetic memory and its discontents: On metaphor, memory, and materialities. Parallax, 27(3), 295311-.
- LaCapra, D. (2001). Writing history, writing trauma. Johns Hopkins University Press.
- Lamming, M., Brown, P., Carter, K., Eldridge, M., Flynn, P., Louie, A., ... & Dickens, P. (1994). The design of a human memory prosthesis. In Electronic Workshops in Computing (pp. 173190-). Springer, London.
- Landsberg, A. (2004). Prosthetic memory: The transformation of archival memory in the age of mass culture. Columbia University Press.

- Loftus, E. F. (2003). Our changeable memories: Legal and everyday implications. Nature reviews neuroscience, 4(3), 231239-.
- Merritt, J., & Morning Brew. (2024, January 11). Duolingo lays off contractors, citing AI. Morning Brew.
- Nora, P. (1989). Between memory and history: Les lieux de mémoire. Representations, 26, 724-.
- PYMNTS. (2023, April 24). IKEA phases out call centers with AI chatbot. PYMNTS.com.
- شوه، ي. (2024). الذكاء الاصطناعي والذاكرة: بناء الذكريات الاصطناعية.
- Suskind, R., & Suskind, D. (2015). The future of the professions: How technology will transform the work of human experts. Oxford University Press.
- Turkle, S. (2011). Alone together: Why we expect more from technology and less from each other. Basic Books.
- Van Dijck, J. (2007). Mediated memories in the digital age. Stanford University Press.
- Wang, Y. (2024, April 26). Chinese marketing giant cuts human copywriters, designers after getting access to Microsoft's OpenAI tech. South China Morning Post.
- Waterson, J. (2020, May 29). Microsoft replaces human journalists with AI. The Guardian.
- Winter, J., & Sivan, E. (2006). Setting the bounds of memory: History, trauma, and the construction of a new Jewish past. Cornell University Press.
- Zuboff, S. (2019). The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power. PublicAffairs.